The nation/state according to Zygmunt Baumann

Dr. Afraa Ismael*
Amal Harba**

(Received 24 / 10 / 2022. Accepted 5 / 2 / 2023)

□ ABSTRACT □

Solid modernity made man the ultimate goal of liberation, so it raised the esteem of the mind, and announced its revolution for renewal and modernization of the various aspects of life. It also announced a break with the past. Its impact was not only exporting the products of the technological revolution, but also attempts to deconstruct some religious and metaphysical beliefs, amazing developments in modern physics, and the rise of the nation/state as the only dominant model of government that made birth the basis of its sovereignty. The emergence of the modern state coincided with the emergence of homeless people without a state, the idea of social nudity emerged, and the law of the forbidden man was resurrected, but with liquid modernity, as the Polish philosopher Zygmunt Bauman sees, the affair over centuries between the nation and the state turned into an intercourse that dissolves The place of the sacred marital relationship, for their entry into the free world in the Organization for Economic Cooperation and Development.

Keywords: the nation/state _ social nudity _ Homo Sacer _ the technological revolution _ liquid modernity.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

***Assistant professor_Department of Philosophy _Faculty of Arts and Humanities _ Tishreen University _ Lattakia _Syria. afraaismael@tishreen.edy.sy**
****Master's Student, Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria. amal.harba@tishreen.edu.sy**

الأمة/الدولة عند زيغمونت باومان

د. عفراء اسماعيل*

أمل حربه**

(تاريخ الإيداع 24 / 10 / 2022. قبل للنشر في 5 / 2 / 2023)

ملخّص

عملت الحداثة الصلبة على جعل الإنسان هدفاً نهائياً للتحرر فأعلت من شأن العقل، وأعلنت ثورتها من أجل التجديد والتحديث لمختلف جوانب الحياة، كما أنها أعلنت القطيعة مع الماضي. ولم يقتصر تأثيرها على تصدير منتجات الثورة التكنولوجية فحسب، بل صدّرت كذلك محاولات تفكيك لبعض المعتقدات الدينية والميتافيزيقية، والتطورات المذهلة في الفيزياء الحديثة، وصعود الأمة /الدولة باعتبارها النموذج الوحيد المهيمن للحكم والتي جعلت الولادة أساس سيادتها. لقد تزامن نشوء الدولة الحديثة مع ظهور أشخاص مشردين بلا دولة، كما ظهرت فكرة العري الاجتماعي، وبُعث من جديد قانون الإنسان المستباح الحرام، ولكن مع الحداثة السائلة كما يرى الفيلسوف البولندي زيغمونت باومان Zygmunt Bauman تحولت العلاقة الغرامية على مدى قرون بين الأمة والدولة إلى معاشرة تحل محل العلاقة الزوجية المقدسة، لدخولهم إلى العالم الحر في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

الكلمات المفتاحية: الأمة/الدولة _ العري الاجتماعي _الإنسان المستباح_ الثورة التكنولوجية_ الحداثة السائلة.

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* مدرس_ قسم الفلسفة _كلية الآداب والعلوم الإنسانية_ جامعة تشرين _اللاذقية _سورية afraaismael@tishreen.edy.sy

** طالبة ماجستير_قسم الفلسفة_كلية الآداب والعلوم الإنسانية_جامعة تشرين_اللاذقية_سورية amal.harba@tishreen.edu.sy

مقدمة:

تصاعد دور العلمانية في الحضارة الغربية، واتجهت حرارة التحديث إلى إذابة الجوامد والمواد الصلبة، وتدنيس المقدسات التي كانت تحتكر على مدى قرون طويلة القوى الإبداعية البشرية، فكان لا بد من إبطال ميراث الخلق الإلهي الذي يقوم على الحكم باسم الله والتحالف مع الكنيسة، وكان لا بد من العمل على إلقائه في بوتقة الانصهار ووضع حدود له. يمكننا القول أن الحداثة الصلبة شهدت تحولاً من الاله إلى الإنسان، حيث حل الأخير محل الأول باعتباره الأساس النهائي للمجتمع، وكان ينظر إلى العقل على أنه المرشد الجديد للإنسانية، وهذا يعني الرفض القوي لكل الأشياء ما قبل الحداثة التي كانت تعتبر مجرد خرافات.

لقد سعت الحداثة إلى خلق إنسان جديد مجهز بمرجعيات جديدة ومرنة وبسيطة، بدلاً من القواعد المترسخة التي فرضتها الجماعات التقليدية التي كانت عائقاً لا عوناً في الظروف الجديدة، تلك القواعد التي ساعدت الناس فيما مضى على العيش في مجتمع تلقائي مجتمع ما قبل الحداثة، الذي كان يقاوم التغيير ويعاني من الضمور والتآكل، ومع الحداثة تحولت تلك القواعد إلى خرافات وأساطير، وأصبحت عائقاً أمام طريق التقدم والتحقق الكامل للقدرة البشرية، فكان من الضروري تحرير الناس من الخرافات والمعتقدات البالية، حتى يمكن فيما بعد تشكيلهم وفق معايير العقل.
لكن الأديان والأساطير التي ضعفت بفعل الحداثة عادت لتستيقظ استيقاظاً عنيفاً وتستحوذ على الإنسان من جديد. وكما يقترح باومان كان كارل ماركس محقاً عندما كتب أن جميع المواد الصلبة تذوب، ولكن يجب أن نسرع لإضافة أنها تتشكل مرة أخرى في أبراج جديدة وفي مجموعات جديدة "لقد فتح كارل ماركس الباب لهذا النوع من التحليل ولاستخدام هذا النوع من الاستعارة، عندما أطلق عبارته الشهيرة بصدد طبيعة الرأسمالية باعتبارها نظاماً اقتصادياً، إن كل شيء صلب يذوب في الهواء، أي أن الكثير من الوقائع الصلبة المادية التي سبقت النظام الرأسمالي مثلاً بنى النظام الإقطاعي قد أذيبت بفضله وتحولت إلى سوائل"[1]

إن الحداثة الصلبة من وجهة نظر باومان شهدت ميلاد آلهة صلبة بديلة عن الإله، وأصنام جديدة مثل العلم والتقدم والأمة/الدولة، وبالتالي فإن الحداثة التي حاربت الأسطورة والرواسب التقليدية الصلبة عادت لإنتاجها بحلة جديدة وأكثر صلابة، فهناك أسطورة دينية ظهرت إلى الوجود هي الأمة/الدولة التي أصبحت كأنها كائن عضوي يستمد قوانينه وشرعيته من داخله دون أن يخضع لقوانين خارجة عنه وقد "منح التأليه الذاتي للدولة /الأمة هذه الأخيرة قوة أخلاقية ونفسية ضرورية لسطتها الفيزيائية " [2]

سعت الحداثة الصلبة إلى تنوير العامة وتثقيفهم، وتحويلهم عن العادات الرتيبة لحياتهم إلى أعضاء أمة حديثة ومواطني دولة حديثة. لقد تم استبدال كثرة واسعة من الجماعات المحلية ذات اللهجات والتقاليد المتنوعة ليحل محلها شكل جديد متكامل أي المجتمع الذي تمثله الأمة /الدولة، والذي يقوم على توحيد كل قوى الأمة /الدولة الاقتصادية والسياسية والروحية. وبالتالي يمكننا القول إن الأمة /الدولة ولدت في الحداثة الصلبة، وتركت علاماتها محفورة بعمق، لقد كانت أكثر الأطفال حماسة بين نسل الحداثة الثابت، كانت التلميذ المندفع، والرفيق المتفاني، في أحضان الحداثة الصلبة، فظلت مخلصة لطموحاتها، وحريصة على مواصلة مشروعها الذي لم يكتمل.

[1] **ريتزر، جورج : العولمة نص أساس، ترجمة السيد إمام،ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص34.**
[2] **مورغان، إدغار: النهج /إنسانية البشرية/ الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط1 ، أبوظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009،ص256.**

من هنا سيكون بحثنا هذا لتسليط وتركيز الضوء على مفهوم الأمة/الدولة، والاستراتيجيات التي اتبعتها في تعاملها مع الغرباء، ومآلات الأمة/الدولة في العصر الحديث السائل، لمحاولة الإجابة عن السؤال التالي: هل فقدت الأمة/الدولة قدرتها على فرض التجانس والانتماء والولاء والاندماج الثقافي في عصر الحداثة السائلة؟

هل ما تزال سلطة الدولة تحتفظ بمكانتها في العالم المعاصر وتقوم بوظائفها في ظل العولمة والسيولة أم أنها بدأت تتراجع أمام قوى السوق والشركات متعددة الجنسيات؟

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على السياسة التي اتبعتها الأمة/الدولة مع الغرباء في الدمج والإقصاء. بالإضافة إلى توضيح مدى تأثير الظواهر الاقتصادية والتكنولوجية على سيادة الدولة.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى التعريف بالعلاقة بين الأمة والدولة، وأبرز التغيرات التي فرضتها العولمة، والتي أدت إلى تحول الزواج المقدس بين الأمة/الدولة إلى طلاق معلن، بالإضافة إلى الأسباب التي أدت إلى تراجع وانحسار سيادة الدولة في عصر الحداثة السائلة.

منهجية البحث: اعتمدنا المنهج التحليلي وذلك للقيام بتحليل شامل للأفكار التي يحتويها هذا العمل، من خلال توضيح أهم التطورات التي طرأت على الدولة في العالم المعاصر، والتي جعلت الدولة تفقد وظائفها سواء في مجال الخدمات والتعليم والصحة وغير ذلك. بالإضافة إلى المنهج التاريخي لمعرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور الأمة/الدولة.

نشأة الأمة/الدولة: شهدت أوربا حروب وصراعات عديدة منها حرب الثلاثين وحرب الثمانين عاماً بين البروتستانت والكاثوليك، والتي عرفتها أوربا على ميراث الإمبراطورية الرومانية ، فبعد أن كانت الأمور تسير وفقاً لما اعتاده الناس، حيث كان الملك يحكم باسم الله بدأت ثورة شعبية ضد الحكم التقليدي، وانقسمت المنطقة إلى قسمين أحدهما يدعم المذهب الجديد والآخر يدعم الأنظمة التقليدية، وعلى إثر ذلك نشأت حروب دينية في أوربا في أوائل القرن السابع عشر لم تنته إلا في معاهدة وستفاليا 1648، والتي أقامت نظاماً دولياً مبنياً على سيادة الدول "وحق تقرير مصيرها السياسي ومساواتها من الناحية القانونية ومنعها من التدخل في شئون دول أخرى ذات سيادة"[3]

وهكذا بدأت النشاطات القومية الأولى بالظهور في هذه الحقبة الزمنية، حيث كان لمعاهدة وستفاليا الدور الكبير في رسم خريطة جديدة لأوربا لا تعرف التقسيمات الدينية بقدر ما تقر المصالح القومية للدول، فأصبحت تتخذ كل مجموعة من الأعراق وأصحاب اللغات المتشابهة أرضاً ويضعون لها حدوداً لتصبح دولتهم التي لا يشاركهم فيها أحد. وهكذا تحولت الممالك المقدسة الحاكمة باسم الله وبالتحالف مع الكنيسة إلى دول قومية تحارب باسم الوطن وفي سبيل سعادته. ولقد أدت التطورات اللاحقة إلى دمج المفهوم الثقافي للأمة وبنية الدولة بفكرة الدولة القومية، لا سيما مع الثورة الفرنسية 1789التي أعلنت وحدة الأمة داخل حدودها الجغرافية الطبيعية، والسيادة على هذه الحدود والقدرة على تقرير المصير والهوية الفريدة التي تتمثل في اللغة والثقافة الشعبية.

وقد تضمنت الدول القومية state_ nation مكونان أساسيان هما: الأمة nation التي تشير إلى جماعة اجتماعية يجمعها أصل واحد وثقافة ولغة وأرض مشتركة، والدولة state التي برزت كشكل مؤسسي جديد في أعقاب زوال النظام الإقطاعي.[4]

---

[3] **ريتزر، جورج : العولمة نص أساس، مرجع سبق ذكره، ص 313.**

[4] **انظر: المرجع نفسه، ص314.**

كانت العلاقة بين هذين المكونين علاقة معقدة، ولذلك سنحاول توضيح طبيعة وماهية هذه العلاقة.

طبيعة العلاقة بين الأمة والدولة: مثلت الأمة /الدولة عنصرين أساسيين تطلبهما عصر القومية باعتبارهما الأساس لفكرة المجتمع، ولتعزيز مبدأ الوحدة الاثنية أي التماثل العرقي من حيث هما مبدأ يعلو فوق كل الولاءات الأخرى، وهكذا كانت فكرة الاثنية أي التماثل العرقي الأساس المنطقي للوحدة وتأكيد الذات. من هنا حاربت الأمة /الدولة النزعات والعادات واللهجات المحلية، وفرضت لغة وذاكرة تاريخية موحدة، وعملت على حفظ النظام والاستقرار، وجعلت الخروج عن النظام أمراً صعباً، لقد سعت للحفاظ على النظم المنيعة التي تدوم طويلاً " إن الأثر المشترك للتعليم، والضغوط الثقافية المنتشرة في كل مكان، وقواعد السلوك التي تفرضها الدولة هو الارتباط بأسلوب الحياة المرتبط بالعضوية الوطنية، في أغلب الأحيان تتجلى هذه الرابطة الروحية في مركزية عرقية واعية وصريحة، في الاقتناع بأن أمة المرء وكل ما يتعلق بها، هو حق وجدير بالثناء أخلاقياً، ويتفوق بشكل كبير على أي شيء قد يكون" [5]

فكل ما هو جيد لأمة المرء يجب أن يكون له الأسبقية على مصالح أي شخص آخر. ولا بدّ للفرد من القبول بالانتماء إلى الأمة/الدولة بإخلاص وإلا حُكِم عليه بخيانة الوطن " ينشيء الوطن شعور بالانتماء إلى مجموعة واحدة لدى الأفراد الذين يشعرون مع تمتعهم بصفة المواطنة بالواجب المقدس الذي يقضي بالتفاني في سبيل الوطن المعرض للخطر " [6]

فالانتماء ليس مصيراً يختاره المرء في عصر القومية، بل هو أمراً مقتضياً ومحسوماً قبل أن يتعلم الشخص المشي أو الكلام" القومية لا تثق بالاختيار فإما أن تكون واحداً منا أو لا تكون، وفي كلتا الحالتين ليس بوسع المرء أن يفعل إلا القليل وربما لا يستطيع أن يفعل أي شيء، ففي السردية المتمركزة حول النزعة القومية يكون الانتماء أمراً مقتضياً لا مصيراً يختاره المرء أو مشروع حياة"[7]

كان بناء الأمم يهدف إلى إقامة بلد واحد / أمة واحدة، أي تسوية الاختلافات العرقية للمواطنين من منظور الأمة/ الدولة المتحدة والموحدة ثقافياً، حيث يجمعها أصل واحد وثقافة ولغة وأرض مشتركة، وكانت السيادة كما مارستها الأمة /الدولة الحديثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأرض، فكان هذا الزواج بين الأقانيم الثلاثة (الأمة والدولة والأرض) قاعدة ملزمة في كل أنحاء العالم. وأحد العوامل المهمة في هذا السياق هو عامل الهوية القومية، أي الإيمان الذاتي للمجتمع بأن أعضائه يشتركون في خصائص وميزات تجعلهم مختلفين عن غيرهم. يمكن لنا أن نذكر المجتمع المتخيل Imagined communitiesهذه الفكرة التي طرحها الباحث البريطاني بندكت أندرسن Benedict Anderson في كتابه "الجماعات المتخيلة تأملات في أصل القومية وانتشارها" ومنها أن الدولة stateبوصفها أمة nationمتكونة من مجتمع متخيل في أذهان الناس الذين أنفسهم جزءاً من هذا المجتمع، بحيث إن أفراد المجتمع لا يرون بعضهم بالعين المجردة في كل الأوقات، إنما لديهم تخيل باطني في أذهانهم بأن لهم مصير مشترك وواحد.

كانت الأمة والدولة بحاجة إلى بعضهما البعض لدرجة تغري المرء بالقول أن زواجهما صنع في الجنة، لقد كان زواج فوق سبع سماوات لا يمكن أن تنهيه أي قوة بشرية على الأرض. إن خلود الأمة وبقاء سلطة الدولة يندمجان في مهمة

---

5 Bauman ,Zygmunt :mortality ,Immortality and other life strategies, cambridge ,polity press,1992,p117..

"The combined effect of education, of ubiquitous though diffuse cultural pressure, and of state_ enforced rules of conduct is the attachment to the way of life associated with the national membership. More often than not, this spiritual bond manifests itself in a conscious and explicit ethnocentrism: in the conviction that one s own nation, and everything which relates to it, is right, morally praiseworthy, and beautiful_ and vastly superior to anything that may be."

[6] مورغان، إدغار: النهج /إنسانية البشرية/ الهوية البشرية، مرجع سبق ذكره، ص 228.

[7] باومان، زيغمونت: الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2016، ص 248 .

واحدة ولا يمكن للمرء أن يفككهما، لقد تم تصوير الدولة النهائية كوقت ينكر زمانيته الخاصة، كوجود لم يعد يعاني من الشيخوخة والانحلال، وبمجرد بلوغ الكمال سيتوقف التاريخ.[8]

كانت الأمة Nation هي التي تضفي الشرعية على التوحيد السياسي للدولة State ، في حين كانت الدولة تقدم نفسها على أنها تحقق مصير الأمة وتضمن استمرارها، من ناحية أخرى فإن الأمة بدون دولة ستكون غير متأكدة من ماضيها، وغير آمنة في حاضرها، وغير متأكدة من مستقبلها، وبالتالي محكوم عليها بحياة غير مستقرة. وقد تجسدت هذه العلاقة بينهما في عصر الحداثة الصلبة وذلك من خلال فكرة البطولة، وفداء الوطن والتضحية من أجل مجد الأمة، فكان لا بد لعصر بناء الأمة/الدولة من أن يكون عصر البطولة، وبعبارة أكثر دقة عصر الحماسة الوطنية، فالأيديولوجيا الشمولية تطالب بالتضحية بالحياة وتمجيد الموت من أجل الأمة في هذا السياق يقول باومان: "كانت الأمم الصاعدة تحتاج إلى سلطة الدولة حتى تشعر بالأمن، وكانت الدولة الناشئة تحتاج إلى الحماسة الوطنية حتى تشعر بالقوة، فكانت الأمة بحاجة دولة والدولة بحاجة أمة حتى يكتب لهما البقاء، احتاجت الدولة إلى رعاياها المحبين للأمة والمستعدين للتضحية بحياتهم الفردية من أجل الأمة، واحتاجت الأمة إلى أعضاءها باعتبارهم رعايا لدولة تملك سلطة تجنيدهم الإلزامي في سبيل قضية قومية، وإذا اقتضى الأمر فإنها تجبرهم على التضحية بحياتهم في سبيل خلود الأمة" [9]

وقد كان لبناء الأمم وجهان: قومي يتسم بالجدة والشدة خاصة عندما يلتقي بأناس يتمسكون بعاداتهم، حيث كان الدفاع عن الاستقلال المحلي أو العرقي يتعارض مع القانون، وكان استخدام اللهجات المحلية في الأماكن والمواقف العامة أمراً يستوجب العقاب، فكانت القومية تستهدف إقناع الناس وتحويلهم إلى دينها الجديد.

أما الوجه الآخر فهو الوجه الليبرالي الذي حرّم الاكراه في الدين والمنع بالقوة عن الاعتناق الحر لدين آخر.

لم يكن هناك اختلافاً جوهرياً بين القومية والليبرالية التي تمثلهما الأمم/الدول الحديثة، صحيح أنهما اتبعتا استراتيجيات مختلفة، لكن كانت الغاية واحدة، فلم يكن هناك مجال في خطتهما للجماعات المستقلة التي تنعم بالحكم الذاتي.[10]

وهكذا عرض مشروع بناء الأمم على الأقليات العرقية كالمهاجرون والمشرّدون وعديمي الجنسية اختياراً قاسياً الدمج أو الإقصاء، والهدف من ذلك هو التخلص من الاختلافات الثقافية.

استراتيجية الدمج والإقصاء: سعت الدولة الحديثة إلى تشجيع التماثل والتوحد، وكان مبدأ وجود قانون موحد لكل من يقيمون في إقليم ما يدل على أن جميع أفراد المجتمع هم موضع اهتمام الدولة لا يتميز أحدهم عن الآخر، وبالمقابل فإن أية سمات مميزة لبعض الفئات كانت غير مشروعة بل وتثير القلق وهذا ما أشار إليه عالم الاجتماع البريطاني مايك فيذرستون في كتابه الشهير (ثقافة العولمة، القومية والعولمة والحداثة) "كانت الدولة الحديثة سلطة تنظيمية بمعنى تحديد الفارق بين النظام والفوضى وغربلة الملائم وإضفاء الشرعية على نمط دون غيره فتروج الدولة الحديثة لبعض النماذج وتستبعد كل ما عداها"[11]

ومن جهته يرى باومان أن مشروع بناء الأمم عرض على الأقليات العرقية الثقافية كالمهجرين واللاجئين والنازحين خياراً قاسياً إما الاندماج أو الهلاك، فإما أن يتخلوا عن هويهم الثقافية المستقلة عن طيب خاطر وإما سلبها منهم بالقوة،

8 See Bauman , Zygmunt: identity ,conversations with Benedetto vecchi , Cambridge ,polity press , p20.

[9] باومان ،زيغمونت: الخوف السائل ،ترجمة حجاج أبو جبر ، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1، 2017، ص 65 .

[10] انظر: باومان ،زيغمونت: الثقافة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط1،بيروت،2018، ص72.

[11] فيذرستون، مايك: ثقافة العولمة/القومية والعولمة والحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 151.

فالهدف من الاندماج هو تجريد الغير من غيريته، بحيث لا يمكن تميزهم عن بقية جسد الأمة، وإذابتهم وهضمهم تماماً وتذويب خصوصياتهم في التركيبة الموحدة للهوية القومية "لقد عرض مشروع بناء الأمم على الأقليات العرقية اختياراً قاسياً : الاندماج أو الفناء. فإما أن يتخلوا عن هويتهم الثقافية المستقلة بإرادتهم، إما أن تنتزع منهم بالقوة"[12]

وهكذا كان أمام الأقليات العرقية حلان: **الحل الأول** يتمثل في الدمج الثقافي للغرباء من قبل السلطة التي تمارسها أغلب الأمم/الدول، بغية استيعاب أصحاب الثقافة الغريبة في الجسد القومي وفي الوقت نفسه التخلص من خلفيتهم الثقافية، وتحريم كل التقاليد والولاءات باستثناء تلك التي تهدف إلى تغذية القيم المطابقة للنظام الجديد. من هنا كان الدمج في جوهره إعلاناً للحرب على الخصائص والسمات الأجنبية لقد كان "تأكيداً غير مباشر على التركيبة الهرمية الاجتماعية والتوزيع القائم للسلطة فكان يفترض تفوق أحد أنماط الحياة وتدني نمط آخر، وكان يجعل من التفرقة بينهما حقيقة ثابتة يتخذ منها منطلقاً لكل حوار "[13]

بالتالي يمكننا القول بأن هذا الدمج Anthropophagic يستمد تميزه وأهميته "من التأميم الحديث للدولة، أي من التزام الدولة الحديثة بالتوحيد اللغوي والثقافي والإيديولوجي للسكان الذين يسكنون الإقليم في ظل سلطتها القضائية"[14]

أما الحل الثاني فيتمثل في رفض الغرباء واجتناب الحاجة إلى التواصل معهم ورفض الحوار والالتزام المتبادل، فكان لا بد من غزو الأجسام الغريبة والتخلص من التلوث وضرورة التطهير، بدلاً من دمجهم أي تطويقهم وطردهم. على سبيل المثال كان اليهود أكثر اندماجاً في المجتمع الألماني وتم الاعتراف بهم لكن تغير الموقف تغيراً جذرياً عندما خص النازيون اليهود بعرقهم ووصفوهم بأنهم أعداء وطن" إن ما جعل الهولوكوست واقعة أخلاقية ممكنة هو بالتحديد ظاهرة صناعة الهوية التي اخترعتها ثقافة الأزمنة الحديثة" [15]

من الواضح أنه وكما يشير مايك فيذرستون فالأمة/الدولة تعمل على تطبيق "التجانس العرقي والديني واللغوي والثقافي وتعلي من شأنه، وتنغمس في دعاية لا تتوقف عن وحدة التوجهات وهي تبني ذكريات تاريخية مشتركة وتبذل قصارى جهدها لقمع الذكريات العنيدة التي يصعب صهرها في تراث مشترك وهي تبشر بوحدة الهدف ووحدة المصير"[16]

نستطيع القول إن الأمة/الدول حاربت العادات واللهجات المحلية، وفرضت لغة وذاكرة تاريخية موحدة، وكرست جهودها لجعل القانون لغة رسمية وأكدت على الالتزام به، كما فرضت مناهج دراسة ومنظومة قانونية موحدة، وحاربت كل شيء يتعلق بالمصادفة. فشنت حرباً على كل الحالات الخارجة عن المألوف وعملت على إذابتها، لكنها أفسحت المجال لمراكز صلبة جديدة أهمها التخطيط والتنظيم والإنتاج. كما أنها جعلت الولادة أو الميلاد أساس سيادتها، فالمرء يولد في مواطنة الدولة دون أسئلة ولا اختبارات، ليولد الإنسان في رحم امرأة لا يعرفها؟ وينتمي إلى عاطفة أم لم تلده؟ ولكن الولادة من جديد بالنسبة لكثير من الناس في منزل جديد دافىء وآمن يشبه الأسرة هو إغراء يجدون صعوبة في مقاومته، لقد ولدت فكرة الهوية من أزمة الانتماء "لا يمكن للهوية أن تكون إلا كمهمة لم تنجز بعد، فهي غير مكتملة، إنها واجب وحث على العمل وفعلت الدولة الحديثة كل ما يلزم لجعل هذا الواجب إلزامياً لجميع الناس داخل سيادتها الإقليمية"[17]

---

[12] باومان ،زيغمونت: الثقافة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص72.

[13] فيذرستون، مايك: ثقافة العولمة/القومية والعولمة والحداثة، مرجع سبق ذكره ، ص152.

[14] المرجع نفسه ، ص 154 .

[15] المسكيني، فتحي: الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، ط1، جداول للنشر،2011،ص236.

[16] فيذرستون، مايك: ثقافة العولمة/القومية والعولمة والحداثة، مرجع سبق ذكره ، ص 148.

17 Bauman , Zygmunt: identity,op..c.t. , p20.

يرى باومان أن من يطرق باب الدولة السيادية طلباً للدخول لا بد أن يخضع إلى طقوس خلع الرداء، فقبل السماح للوافدين الجدد المتقدمين للالتحاق بعالم اجتماعي "لا بد من دخول خزانة الملابس حيث تخزن الملابس الملائمة لهذا العالم الاجتماعي والمحجوزة له خصيصاً، فلا بد من تجريدهم "على المجاز والحقيقة" من كل ما كانوا يرتدونه من قبل. فلا بد أن يظلوا فترة من الزمن في حالة من العري الاجتماعي "[18]

وهكذا يعيش الوافدون الجدد في حالة من العري الاجتماعي، حيث يُفصَلون ويجردون عن كل ما كانوا يحملوه معهم من بلدهم الأصلي، وهذا ما يشبه الحجر الصحي، فلا بد أن يسبق الدمج إقصاء جذري لهويتهم وثقافتهم وروابطهم واتصالهم مع أوطانهم الأصلية، والقيم والمعتقدات والعادات التي يحملوها معهم من بلدهم الأصلي، فلا يسمح لهم بدخول المجتمع الجديد إلا بعد أن يتحرروا من هذه المبادىء ويوافقوا على إعادة ميلادهم من جديد لصبحوا مثل باقي أفراد المجتمع الأصليين، وإلا تعرضوا للرفض من المجتمع الجديد.

وهكذا لكي تكون برجوازياً لا يكفي أن تولد برجوازياً، يحتاج المرء أن يعيش حياته كلها كبرجوازي والقول هنا لسارتر، يعني أن التلويح بشهادة الميلاد لا تكفي، بل يحتاج المرء أن يثبت أفعاله من خلال حياته كلها أنه ينتمي بالفعل إلى الفئة التي يدعي الانتماء إليها.[19]

والجدير بالذكر أن السيادة كما مارستها الأمة/الدولة الحديثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأرض، لقد تحول الزواج إلى علاقة تربط بين ثلاثة أقانيم (الأمة /الدولة /الأرض) وأصبح هذا الثالوث يرقى إلى مرتبة المبدأ الكوني للعيش الإنساني المشترك الذي لا بد من أن يفرض على كل شبر في كوكب الأرض، وعلى هذه الصورة الاعتباطية الإجبارية التي يحظى بها مبدأ التثليث، فإن أي شخص خارج أي أقنوم من تلك الأقانيم سيجد نفسه خارج أسرة الأمم ، وسيلقى به إلى أرض مجهولة ، وخارج تلك الحدود التي ليست جديرة بالحياة والتي لا تستحق العيش إنها حياة عديمة القيمة، يسكنها الإنسان المستباح الحرام خارج عالم الإنسانية التي ليست جديرة بالحياة.

الإنسان المستباح: Homo Sacer حسب تعبير جورج أجامبين Giorgio Agambenحيث إن الحضور الخفي للكائن المستباح كإحدى إمكانات الدولة الحديثة يتحول إلى واقع عندما تصبح الظروف مواتية وكما تجلى ذلك في أفظع جوانب الهولوكوست. ومصطلح الإنسان المستباح يعبر مجازياً عن كل آخر غريب يمكن قهره وسلبه حقوق الإنسان كلها. استحدث في القانون الروماني القديم حيث كان يشير إلى فئة هامشية استثنائية وخاوية تقريباً لكن هذه الفئة مختلفة في الدولة الحديثة كما يقول أجامبين "الارتفاع المتواصل لأعداد البشر الذين اقتلعوا من جذورهم المهاجرين واللاجئين والمنفيين وطالبي اللجوء السياسي كل هؤلاء لا يقر لهم قرار "[20]

"Identity could only enter the lebenswelt as a task, as an as _yet_ unfulfilled, unfulfilled ,task, a clarion call, a duty and an urge to act _and the nascent modern state did whatever it took to make such a duty obligatory forall people inside its territorial sovereignty"

[18] باومان ،زيغمونت: الحب السائل ،ترجمة حجاج أبو جبر ، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1، 2016 ، ص 174. .

19 Bauman ,Zygmunt: identity ,conversations with Benedetto vecchi ,op..c.t, p49.

"As Jean_Paul Sartre memorably put it then, to be a bourgeois it is not enough to be born a bourgeois one needs to live ones whole life as a bourgeois"

[20] أغامبين، جورجيو: حالة الاستثناء /الإنسان الحرام، ترجمة ناصر اسماعيل، مدارات للأبحاث والنشر، ط 1، 2015، ص31.

ارتبط الكائن المستباح عادةً بالتجسيد المطلق للحق السيادي المطلق في استبعاد مثل هذه الكائنات البشرية الغريبة في نطاق القوانين الإنسانية والإلهية "ثمة غرباء غير مرغوب فيهم في كل مجتمع، ويوجد في كل مجتمع أناس يتمنون التخلص من هؤلاء الغرباء، ولكنه ليس من الممكن في أي مجتمع إبادة هؤلاء الغرباء غير المرغوب فيهم " [21]

بعد أن يترك اللاجئ البيئة المألوفة السابقة ، فإنه يحمل معه بلده الأصلي مما يزيد من صعوبة اندماجه في المجتمع المضيف، فيعاني من فقدان جزء من هويته خاصةً فيما يتعلق بالهوية الثقافية، فالمهاجر يتصرف في البلد المضيف بشكل طبيعي لكن البيئة الاجتماعية تتصرف بشكل مختلف، فالمجتمع الجديد يحدد ما هو مقبول وما هو غير مقبول، وربما تسبب بعض القيم والممارسات الخاصة بالجماعة العرقية في مثل هذا الصراع الحاد مع قيم المجتمع المسيطر صراعاً وربما تكون غير مقنعة مع النظام الشرعي للدولة، وفي مثل هذه المواقف قد يوضع الأفراد تحت الضغط المباشر أو غير المباشر إما ليعدلوا من ثقافتهم العرقية أو لا يتصرفوا وفقاً لها.

يروي لنا باومان أنه أثناء تكريمه في جامعة تشارلز كانت هذه الجامعة تعزف النشيد الوطني للبلد الذي ينتمي إليه الشخص الحاصل على الدكتوراة الفخرية خلال حفل التكريم، وعندما جاء دور باومان ليحظى بالتكريم طُلب منه الاختيار بين النشيدين البريطاني والبولندي، فالإجابة لم تكن سهلة كما يخبرنا، فبريطانيا هي الدولة التي اختراها والتي تم اختياره من خلالها من خلال عرض وظيفة التدريس بمجرد أنه لم يعد بإمكانه البقاء في بولندا البلد الذي ولد فيها بعد أن سلب حقه في التدريس، لكن في بريطانيا كان مهاجراً وافداً جديداً لاجئاً من بلد أجنبي، لقد أصبح مواطناً بريطانياً متجنساً منذ ذلك الحين، يرى أنه ربما كان ينبغي أن يختار النشيد البولندي لكن هل الحق في النشيد البولندي ما زال ملكياً بعد تجريده من الجنسية البولندية وإقصائه رسمياً ؟

وفي نفس السياق يمكننا أن نذكر مثالاً آخر حيث يذكر لنا أمين معلوف في كتابه الهويات القاتلة بأن الهوية لا تتجزأ أبداً، ولا تتوزع أنصافاً، ولا مناطق منفصلة، فهو لم يكن يمتلك هويات عدة، بل هوية واحدة مكونة من عناصر تشكلت وفق معايير خاصة، فهو ولد في لبنان وكانت العربية لغته الأم، فكيف له أن ينسلخ عنها وينساها بعد أن غادر إلى فرنسا واستقر فيها وكتب بلغتها، هنا يفضل أمين معلوف عندما يسأل هل هو فرنسي أم لبناني؟ أن تكون الإجابة هذا وذاك.

فعلى المستوى الاجتماعي يتحول اللاجئون إلى كائنات زومبية ميتة وحية في آن، إنهم متأرجحون بين الأجنحة والجذور، بين الارتباط بالأصل والماضي وبين الانفتاح على الثقافة الجديدة "فهوياتهم القديمة تبقى على قيد الحياة كالأشباح تسكن الظلام الدامس لأنها غير مرئية في وضح النهار داخل المخيم بل إن أفضل الهويات منزلة ورغبة وراحة تتحول إلى عوائق فهي تعطل البحث عن هويات جديدة أكثر ملائمة للبيئة الجديدة وتمنع استيعاب الواقع الجديد وتؤخر إدراك دوام الحال الجديد"[22]

يصبح الكائن المستباح وجوداً يمكن تدميره من دون التعرض للعقاب، وإن كان تدميره لا تعوزه أي دلالة دينية أو أخلاقية فحياة الإنسان المستباح لا تحمل أي مغزى "إنه خارج المجتمع البشري تماماً ومستثنى من كل الالتزامات والاعتبارات الأخرى التي يستحقها بشر آخرون لكونهم بشر"[23]

[21] باومان ،زيغمونت: الحداثة والهولوكوست، ترجمة حجاج أبو جبر ، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1، 2014، ص364.
[22] باومان ،زيغمونت: الحب السائل ،مصدر سبق ذكره ،ص 192.
[23] باومان،زيغمونت: الحداثة والهولوكست، مصدر سبق ذكره، ص 364.

هو موجود بصفته البيولوجية ومجرد من صفته الآدمية، إنه يعيش حياة عارية، وينبغي إعالته بالمعنى الأكثر بدائية بالطعام والماء والمأوى، وينبغي إبعاده عن طريق النفي أو الاحتجاز في مراكز العزل العنصري بالإقامة الجبرية في معسكرات الاعتقال والتي هي أبشع الاختراعات التي ابتدعها العالم الحديث، حيث أصبح في مجتمعنا الحديث من الممكن لأناس عاديين أن يشتركوا بكل إتقان في تدمير فئة مستهدفة من البشر، سواء كانت معسكرات الاعتقال النازية، أو المخيمات الفلسطينية، أو معتقلات أبو غريب، وجوانتانامو، أو إبادة الهنود الحمر في أمريكا، أو إسقاط القنابل الذرية على اليابان، وجرائم الإمبريالية الأمريكية أثناء غزو فيتنام، و أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان، و الغزو الأمريكي للعراق و أفغانستان وليبيا.

يرى باومان أن أوربا وعلى الرغم من كل دعواتها التنويرية فقد وصل خطابها السياسي إلى نقطة العداء الصريح تجاه الغرباء والمشردين من كل أنحاء العالم في التنكر للقيم الإنسانية والانعزال والانطواء على الحدود الذاتية. يمكن القول على الرغم بأن العالم كان مشغولاً بترتيب زواج الأمم والدول، والدول والسيادة ،والسيادة والأرض المحاطة بحدود حصينة ومراقبة شديدة، فإنه سلك أفقاً يختلف تمام الاختلاف عن الأفق الذي رسمه كانط ، حيث أشار هذا الأخير إلى أنه لا مناص من العيش المشترك، وإن الاتحاد الكامل للأنواع البشرية عبر مواطنة مشتركة هو المصير الذي اختارته الطبيعة لنا، فوحدة البشرية هي الأفق النهائي لتاريخنا الكوكبي "فعلى مدار قرنين من الزمان انشغل العالم بإخضاع حركة البشر لسلطة الدولة وحدها، مع بناء حواجز أمام كافة ألوان حركة البشر التي لا تخضع للتحكم وتزويد الحواجز بحراس يقظين مسلحين بأسلحة ثقيلة، فكانت جوازات السفر، وتأشيرات الدخول والخروج، والجمارك، ومراقبة الهجرة، هي الابتكارات الأساسية لفن الحكم الحديث"[24]

إننا نلاحظ في الفترة المعاصرة التطرف في الحد من اللجوء السياسي وما يصاحبه من رفض شديد لدخول المهاجرين باستثناء اللحظات العابرة، وما أسعف الساسة هو الهجوم الإرهابي في الحادي عشر من أيلول، فبالإضافة إلى التهم المعتادة التي توجه إلى اللاجئين مثل امتصاص خيرات الأمة، والعيش عالة على رفاهيتها، وسرقة الوظائف، وجلب الأمراض كالسل، والإيدز، يمكن الآن اتهامهم بأنهم يؤدون دور الشبكة الإرهابية، فإن القلق الذي يتكثف في الخوف من الغرباء يشبع مجمل الحياة اليومية ويملأ كل زاوية. نستطيع القول إن المهجرون يمثلون التجسيد الحقيقي لما أطلق عليه جاك دريدا الحالات المبهمة التي يستعصي تحديدها، ففي عالم الجماعات المتخيلة يكون اللاجئون خارج طوق الخيال إنهم يُمنعون من الحضور في مرآة الخيال.

ينظر إلى المهاجرين على نطاق واسع على أنهم حاملون للأمراض المعدية، وحملات طردهم قاعدة يتم إجراؤها بمصطلحات صحية، ويكشف وجود المهاجرين هشاشة المجتمع، إنه يهز الأمن الاجتماعي والثقافي الذي يتعرض للخطر. [25]

وهكذا يفقد اللاجئون المكان في الأرض، ويقذف بهم في اللأماكن Non lieuxعند مارك أوجيه، أو إلى المجاهل Nowherevillesعند غول غارو، أو إلى سفينة الحمقى Narrenschiffenعند ميشال فوكو إلى مكان عائم بلا مكان، مكان مغلق على ذاته ومنفتح على لا محدودية البحر في الوقت نفسه، أو إلى صحراء غير مأهولة يبغضها البشر وقلما يزورونها.[26]

---

[24] **باومان ،زيغمونت: الحب السائل ،مصدر سبق ذكره ، ص 170.**

25 See Bauman ,Zygmunt :mortality ,Immortality and other life strategies ,op..c.t.,p159.

[26] **انظر: باومان ،زيغمونت: الحب السائل ،مصدر سبق ذكره ، ص184 .**

نستطيع القول أن الأمة/الدولة قاومت التغير وأصبحت أكثر صلابة وكان جدار برلين هو أكبر مثال على الصلابة في القرن العشرين، لكن مع انهيار السور انهار معه الكثير من أشكال الصلابة المفرطة. وما هو جدير بالذكر أن الأنماط الصلبة مازالت موجودة في هذا اليوم ولم تنتهي وتتجلى بأشكال جديدة، فهناك أجزاء عديدة في دول العالم تسعى إلى إقامة العوائق في وجه الهجرات المشروعة وغير المشروعة، وهذا ما نلاحظه في الولايات المتحدة التي سعت إلى إقامة سور ضخم مع المكسيك لتحد من الهجرة المكسيكية المتصاعدة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الأمة/الدولة تواجه اليوم مجموعة من العوامل التي تهدد استقلالها، كتدفق المعلومات والهجرة غير الشرعية، حيث ارتبط قدر كبير من حركة السكان بالعولمة. مع الهجرة قد يصبح التنوع الذي يصاحب استقرار المهاجرين في البلاد المضيفة موضع ترحاب واحتفال، وقد ينشط الجدل والحوار حول التقاليد الجديدة التي جلبها هؤلاء المهاجرون. ومن جهة أخرى قد يزداد الضغط على أسواق العمل والعقارات وقد ينشط الإرهاب وأعمال الشغب العنصرية، وهذا يؤدي إلى الاستعداد للتخلي عن التقاليد القومية المتوارثة ليفسح المجال أمام هويات هجينة جديدة ذات تعدد ثقافي. فالهجرة الحديثة الآن في أوج تدفقها وقوتها المتزايدة، إنها تمثل بداية عصر الشتات، وينتشر الشتات في أنحاء عدة ولم يعد بالإمكان وصف أي دولة أنها مكان خالص للهجرة. نستطيع القول أنه في عصر الشتات تتغير الرابطة المتينة بين الهوية والقومية، حيث أصبحت الحدود مرنة، وأصبح فن التعايش مع الاختلاف مشكلة يومية، وأصبح العيش مع الغرباء سمة دائمة، فموجة الهجرة المكثفة التي يشهدها العالم في العصر الحديث ليست شيئاً جديداً، ولا حدثاً فريداً، ولكنها في الواقع تأثير ثابت ومتواصل لنمط الحياة الحديثة بانشغالها الدائم ببناء النظام والتطور الاقتصادي.

الأمة/الدولة في عصر الشتات: كانت الأمم /الدول ترعى التطلعات والآمال الجوهرية لبقاء النظم منيعة والتي تدوم طويلاً، لكن مع العولمة بدأت هذه التطلعات والآمال تضعف تدريجياً وكان لا بد من التخلي عنها تماماً وطواعية، ومن ثم أدى ذلك إلى ضعف الحدود، وسقوط الأساطير، وزوال وهم السيادة القطرية، وبالتالي زوال التأييد للأمة /الدولة التي تستمد كفايتها وبقائها واستمراريتها وتوازنها من داخلها.

يمكننا القول إن الحدود في الحداثة السائلة أصبحت ضبابية ومتغيرة باستمرار، وهذا الانهيار المستمر وغير المتوقف لأهمية المسافات المكانية وعدم القدرة على الدفاع عن الحدود، أدى إلى التدفق البشري الكثيف عبر كل الجهات من مهاجرين ولاجئين الذين يُنظر لهم أنهم التالف البشري في تخوم الأرض، فهم المرفوضون والمقابلون بالكراهية والحقد في كل مكان، إنهم بدون عنوان ثابت، إنهم في غير أماكنهم، إنهم غير مستقرون يأتون فجأة بشكل غير معهود. يقول باومان:"داخل أسوار المخيم يصير اللاجئون كتلة مضغوطة مجهولة بعدما حرموا من المزايا الاجتماعية الأساسية التي تستمد منها الهويات فإذا ما أصبح المرء لاجئاً فإن ذلك يعني فقدان السبل التي يقوم عليها الوجود الاجتماعي بمعنى فقدان الناس والأشياء الحاملة للمعاني ،مثل الأرض والمنزل والقرية والممتلكات والوظائف وغيرها من المعالم "[27]

من هنا يتبين لنا أن اللاجئين هم التجسيد الحقيقي للسيولة، إنهم يجسدون فضاء التدفقات السائلة، إنهم معلقون في فراغ مكاني، هم خارج المكان إنهم في اللامكان، حياتهم مؤقتة غير مستقرة تزخر بالتغير والتقلب، فلاهم مستقرون ولا هم متنقلون، ولاهم من أهل الاستقرار ولاهم من أهل الترحال، ولا تربطهم أي روابط بأي مكان، إنهم يعيشون في آنية

[27] **باومان ،زيغمونت: الأزمنة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط1،بيروت، 2017، ص113.**

اللحظة، في غمرة اليأس الذي يختمر داخل خيامهم. وإذا نظرنا إلى مخيمات اللاجئين لوجدناها تعبر عن حالة مؤقتة ،دائمة، هدفهم وصولهم أو عودتهم وهذا يظل غير واضح، والمكان الذي بوسعهم أن يسموه نهائياً لا يتيسر الوصول إليه، حيث تستمر اللحظة التي كان منتظراً أن تكون عابرة، فالمخيم لا هو سكن ولا هو وطن ولا دولة، تلك الحالة التي يصفها باومان بأنها حالة مستمرة ودائمة من الوجود المؤقت، وجود زمني يتألف من لحظات لا تعاش أي منها باعتبارها عنصراً من الديمومة، ناهيك بكونها إسهاماً فيها ذلك لأن السرديات طويلة الأجل وتبعاتها ليست جزءاً من الخبرة بالنسبة إلى من يعيشون في مخيمات اللاجئين [28]

إن اللاجئون يجسدون أبرز سمات الحياة الحديثة السائلة من " دوام الحالة المؤقتة، واستمرار اللحظة العابرة والدور الاجتماعي غير المحدد على الدوام أو لنكن أكثر دقة، الإلقاء في تدفق الحياة من دون مرساة لدور اجتماعي "[29]

في عصر الشتات الذي يشهده العالم المعاصر السائل أصبحنا أمام واقع يتشكل يومياً، ويشكل هوية جديدة معولمة تصنع خارج الحدود المحلية المسيجة بقيم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية، إنها هوية سائلة تصنع هناك وفي مكان ما وإن شئنا التدقيق في اللامكان ،لا تبالي بتنوع القيم ،ولا باختلاف العادات والتقاليد ،تهدف إلى هندسة مجتمعات سائلة بلا أصل وبلا تاريخ ، عصر الشتات يتخبط في فخ الجنسية المتعددة والولاءات المتعددة، هنا يدرك المرء أن الانتماء والهوية غير مضمونين بضمان مدى الحياة وأنهما قابلين للتفاوض، ففي إحدى شوارع لندن يعيش فيه سكان ينتمون إلى جماعات تختلف كثيراً الواحدة منهم عن الأخرى .لقد أصبحت تعددية المجتمع المتحضر الحديث حقيقة واقعية إنها وبعكس القومية تحقق الوحدة في أفضل صورها إنها تقوم على التسوية بشأن القيم وطرق الحياة المختلفة .

فبعدما خضعت المعتقدات والقيم وأساليب الحياة للخصخصة، وبعدما انتزعت من سياقها وانفصلت عن الجماعة والمجتمع، وبعد ما صارت البدائل المتاحة لإعادة الدمج في الجماعة والمجتمع أقرب إلى الإقامة في الفنادق المنتشرة على الطرق السريعة منها إلى العيش في بيت دائم وثابت، صارت الهويات هشة ومؤقتة حتى إشعار آخر وصارت مجردة من كل الدفاعات.[30]

اشتكت إحدى صديقات باومان من كونها امرأة مجرية، أمريكية مثقلة بالكثير من الهويات لشخص واحد" أصبح الإنسان يشعر في كل مكان أنه في المنزل ولكن لا يوجد مكان يكون فيه المرء في المنزل بشكل كامل وحقيقي "[31]

وعلى ذلك يجب أن نكرر إن هويات سكان الحداثة السائلة ستتطاير وسيضطرون إلى تعلم فن العيش مع الاختلاف، فالهوية لن تبقى هي ذاتها على الدوام بل تخضع للتبدل والتحول، فالعالم لا تسيطر عليه ثقافة واحدة بل ثقافات عديدة، ففي ظل التداخل بين الشعوب والمجتمعات لا تجد الهوية نفسها إلا من خلال تفاعلها مع سواها من الهويات والثقافات.

---

[28] **أنظر المصدر نفسه، ص 67.**

[29] **المصدر نفسه، ص69.**

[30] **انظر : باومان، زيغمونت، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص251.**

31 Bauman,Zygmunt :identity ,conversations with Benedetto vecchi , op..c.t., P14.

"One can even begin to feel everywhere ches soi, at home_but the price to be paid is to accept that nowhere will one be fully and truly at home."

ما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، أنه إذا كانت التعددية الثقافية Multiculturalism تفترض احترام حق الفرد في اختيار طريقة حياته ومرجعية ولائه، فإن التعددية المتحدة تفترض أن ولاء الفرد هو قضية ضرورية من البداية بانتمائه إلى جماعته الأصلية. وإذا كانت الأمة في الأزمنة الحديثة وجهاً آخر للدولة واستمدت الأمة من علاقتها الوطيدة بالدولة الكثير من مصداقيتها باعتبارها ضامن الأمن والبقاء، فإنه في الظروف الجديدة المرتبطة بالتدفق العالمي للبشر، والعجز عن التحكم في التدفقات الاقتصادية التي تتحكم فيها الشركات متعددة القوميات، بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية والمالية، والفجوة بين الشمال والجنوب، والإرهاب، وانتشار الأمراض، فإن العلاقة الغرامية على مدى قرون بين الأمة والدولة أوشكت على الانتهاء، لتعلن بداية مرحلة جديدة، مرحلة ما بعد الأمة/الدولة . لقد أصبحت الأمم مجرد تذكارات من عصور مضت وأصبحنا نقول عصر ما بعد الأمة/الدولة، هذا العصر الذي نستعد للدخول فيه اليوم لا يسمح إلا للتكتلات الكبرى بأن تكون قادرة على مجابهة المشكلات الكبرى التي سبق لنا ذكرها والتي هي فوق طاقة الأمة/الدولة. وكما يرى بعض الباحثين أن مصطلح الأمة/الدولة يتبع عصر الحداثة من الناحية التاريخية ومن ثم محكوم عليها بالأفول في عصر ما بعد الحداثة، فالكثير من علماء ما بعد الحداثة وبسبب تأثير العولمة يرون أن الأمة/الدولة قد تجاوزتها بالفعل هويات أكثر عالمية، وفي هذا الصدد يشير باومان إلى أن أنماط ما بعد الحداثة وعلى خلاف أنماط الحداثة لا يمكن أن ترسخ جذورها في واقع الأمة/الدولة. كما ذهب كينشي أوهماي Kenshi Ohmae في كتابه "الاقتصاد العالمي، تحديات وفرص في عالم بلا حدود" إلى أن سيادة الأمة/الدولة أصبحت فارغة ومهجورة وآيلة للانحلال وغير قادرة على إنجاز وظائفها التقليدية.

ما بعد الأمة الدولة: لقد تحولت العلاقة الرومانسية بين الأمة/الدولة إلى معاشرة تحل محل العلاقة الزوجية المقدسة القائمة على إخلاص غير مشروط، وأصبح الزوجان لهما الحرية في النظر في مكان آخر، والدخول في علاقات أخرى، فلم تعد علاقتهم هي النموذج الملزم للسلوك اللائق والمقبول. لقد صارت سلامة الكيان السياسي في أكثر صوره شيوعاً الأمة /الدولة في موقف عصيب وثمة حاجة ملحة إلى شرعية بديلة، وفي هذا السياق يؤكد جاك أتالي Jack Attali "أن الأمم التي انتظمت في صورة الدول فقدت تأثيرها في الاتجاه العام للأمور وتخلت في أثناء العولمة عن جميع السبل التي ستحتاجها لتحديد مصيرها ومقاومة الأشكال المتعددة التي ربما تتخذها مخاوفها"[32]

لقد انقلب المد التاريخي في الاتجاه الآخر، ولم يستطيع العيش بعد مرور المرحلة الصلبة في المرحلة الجديدة السائلة للحداثة، كان من المحتم على الأمة /الدولة أن تنفصل لأنها لم تعد قادرة على تقديم أي شيء للأجيال التي ولدت وتهيأت في العصر الجديد "الدولة لم يعد لديها النفوذ أو الرغبة في الحفاظ على زواجها من الأمة متيناً ومنيعاً .المغازلة خارج نطاق الزواج وحتى العلاقات الزانية أمر لا مفر منه ومسموح به، وغالباً ما يتم شراؤها بجدية وحرص وفقاً للشروط الأولية المحددة لدخولهم إلى العالم الحر أولاً في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية" [33]

[32] **باومان،زيغمونت: الأزمنة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص 47.**

33 Bauman,Zygmunt :identity ,conversations with Benedetto vecchi , op..c.t. ,p28.
"State no longer has the clout or the wish to keep its marriage with the nation rok _solid and impregnable .Extramarital flirsts and even adulterous affairs are both unavoidable and permissi, often earnestly and keenly procured (following the prelim_inary conditions set for their admission to the free world _first the OECD"

أخذت الأمة /الدولة تتفتت وتتشتت وتنقهر وتتكمش، بدأت إدارة الدولة تضعف وأخذت السيادة الوطنية تقل وتضمحل، فظاهرة الأمة/الدولة لم تعد أزلية ولم يعد هناك سبب لبقاء هذه السيادة إلى الأبد "ولم يعد الخضوع للشمولية واجباً مقنعاً بالإكراه ومزعجاً ومكلفاً وشاقاً غالباً، بل تسلية مطلوبة جداً وممتعة بشكل واضح"[34]

وهكذا نستطيع القول أن الأمة/الدولة لم تعد قادرة على إنتاج ذاتها من خلال القدرة على إثارة الذكريات والمشاعر والأجواء التي تبين استعداد الناس للموت من أجل بلدانهم وأممهم، لقد وجهت العولمة ضربة تجاه الشعور بالولاء للأمة/الدولة وأصبح الولاء تجاه العالم ككل، فالولاء للأمة أصبح من مخلفات الماضي الذي يفضل نسيانه في ظل تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة، وأصبح الولاء للأوسع، لقد ضاع الولاء كما تضيع قطعة السكر عند وضعها في المحيط بالعكس تماماً عندما تكون في إناء صغير. لقد تم إفراغ معنى المواطنة من الكثير من محتوياته السابقة والحقيقة المفترضة، في حين تم تفكيك المؤسسات التي تديرها الدولة أو التي تدعمها بشكل تدريجي" فلا أمل أن تكتسب الأمة إلا النذر اليسير من علاقتها بالدولة وربما لا تكترث الدولة كثيراً بإمكانات الحشد التي تحظى بها الأمة فلم تعد بحاجة إلى ذلك، حيث حلت جيوش الوحدات التقنية المحترفة محل الجيوش التي تتبع التجنيد الإلزامي"[35]

يمكن القول أنه مع التغيرات المهمة والواسعة التي شهدها العالم في الفترة المعاصرة والتي نجملها تحت اسم الحداثة السائلة، كتفكك الروابط الإنسانية، وانفصال السلطة والسياسة، وزيادة عدد المهاجرين واللاجئين، يحظى أبرز هذه التغيرات بأهمية خاصة ويتمثل في تنازل الدولة عن امتيازاتها وحقوقها وبيعها بأسعار زهيدة، لقد فقدت السيطرة على الأمواج وترويض البحر الذي أصبح يهيج بالاضطراب وفقدان الأمان والاطمئنان ،ومن ثم تخليها عن دورها الرئيسي في تأمين اليقين والأمن، حيث حلت القوى المرتزقة التي يستأجرها رأس المال العولمي والتي أصبحت تحل محل جودة القوة العاملة وروحها المعنوية. وأصبحت سوق الأوراق المالية تحظى بأهمية غير مسبوقة، لقد أصبحت الأمة/الدولة خادمة أمينة وبسيطة للشركات العملاقة، حيث أصبحت الأسواق المالية العالمية تفرض قوانينها ومبادئها الخاصة على العالم. ما بعد الأمة/الدولة تجارة حرة وغير محدودة ولا يمكن إيقافها، ويرجع ذلك أساساً إلى حرية حركة رأس المال والتمويل، فقد تم تحرير الاقتصاد بشكل متزايد، وأصبح المعطى الأصلي لمصطلح الاقتصاد هو مجال اللاسياسة وما تبقى من السياسة يجب أن تتبناه الدولة، ولا يجوز لهذه الأخيرة أن تمس أي شيء يتعلق بالحياة الاقتصادية وأي فعل من هذا القبيل سيقابل برد فعل عقابي ومفاجيء من الأسواق العالمية.

تراجع وانحسار سيادة الأمة/الدولة: لقد قُوضت سيادة الأمة/الدولة وهُدمت حصون استقلالها الحدودي، وانفصلت الأمة عن الدولة وعن الأرض وتحولت من كيانات متماسكة إلى روابط مبعثرة " أصبح بإمكان الثقافات القومية أن تستغني عن الثالوث الذي كان يعد الشرط الضروري لبقائها"[36]

تواجه الأمة/الدولة تهديداً من جانب التدفقات المتنامية للمنظمات الاقتصادية العالمية والمتعددة القوميات التي لا حدود لها والتي تعجز الأمة/الدولة عن السيطرة عليها، فهي تؤدي عملها متحررة من سيطرتها كالاتحاد الأوربي مثلاً. الاندماج المفترض للسلطة والسياسة داخل الاتحاد الإقليمي للأمة والدولة ينتهي الآن ، فزاوج السلطة والسياسة أو بالأحرى تعايشهما داخل الدولة الإقليمية أصبح على وشك الطلاق ، بعد ما كان يتوقع منهما منذ نشأة الدولة الحديثة أن يعيشا معاً تحت سقف الأمة /الدولة "معظم السلطات التي تديرها المؤسسات السياسية للدولة تبخرت، مساحة

[34] باومان ،زيغمونت: الأخلاق في عصر الحداثة السائلة ، ترجمة سعد البازعي ،بثينة الابراهيم ، أبو ظبي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، ط1، 2016، ص 208 .
[35] باومان ،زيغمونت: الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص 259.
[36] باومان ،زيغمونت: الثقافة السائلة، مصدر سبق ذكره،ص70.

التدفقات الأرض الحرام التي تمتد إلى ما هو أبعد من متناول أي دولة أو مجموعة من الدول فهي تتحرك بما يكفي للتقليل من شأن حدود الدولة والمصالح المحلية والقوانين وقواعد العمل الملزمة إقليمياً وتجاهلها. لقد تحررت السلطات من معظم القيود التي تستطيع القوى الإقليمية للدول القومية فرضها أو التفكير فيها بالفعل"[37]

لقد أصبحت السلطة المتمركزة في رأس المال والمعلومات خارج الحدود السياسية، وهذا يؤدي إلى إضعاف متواصل للأمة /الدولة، فالحكومات لم تعد تمتلك الوسائل لممارسة السياسة الاجتماعية المستقلة، ولذلك لم يعد أمامها سوى استراتيجية وحيدة تسمى تحرير السوق، بمعنى التنازل عن السيطرة على العمليات الاقتصادية والثقافية لتتولاها قوى السوق المتجاوزة للحدود.

يوضح باومان أن رأس المال وليس الآلة فقط يؤدي دور الإله، حيث تحول الاقتصاد إلى دين جديد يصوغ للناس سبل العيش ومنهج الحياة. نلاحظ هنا أن الحق القديم في الاستثناء والإقصاء الذي كانت تمارسه الأمم /الدول طوال مرحلة الحداثة الصلبة، يوظف الآن من خلال وجود الفئات الهامشية التي لا يمكن لها أن تصل إلى مستوى قوى السوق" فكان الإنسان المستباح الحرام يجرد عنوة من ردائه الاجتماعي، ويرغم على البقاء عارياً بإلغاء القانون، وأما النفايات البشرية الجديدة فتعاني من العري الاجتماعي دوماً، بإلغاء المعايير والقيم من إمكانية نسج ردائها الاجتماعي فيما يفترض الآن أنه مهمة فردية بعدما تعرضت للحرمان من الغزل الذي تنسج منه الأردية المفضلة في مجتمع المستهلكين" [38]

إنها فئة جديدة متنامية من الإنسان المستباح الحرام في مجتمع الاستهلاك السائل إنهم المستهلكين العاجزون المعيبون، إنهم مخلوقات عديمة القيمة فائضة ونفايات زائدة لا يملكون شيئاً يقدمونه لاقتصاد هذا المجتمع لا الآن ولا في المستقبل القريب، ومن ثم فإن المجتمع سيكون أحسن حالاً إذا ما اختفوا منه. "يمكن وضع هذه الفئات في خانة المدين باعتبارها حالات إفلاس ميؤوساً منها والأهم أن إقصاء الإنسان المستباح الحرام في آن "الإنسان المحروم من القوانين البشرية والإلهية" وعزله ونفيه لم يعد حكراً على الدولة" [39]

ففي عصر السيولة يتحول المجتمع إلى سوق تؤمن للإنسان لذاته الآنية، العابرة والسريعة التي لا تتصل بمركز ثابت فيصبح المجتمع استهلاكياً بامتياز وتتحكم فيه الشركات المتعددة الجنسيات. الحقوق الاقتصادية أصبحت الآن خارج سيطرة الدولة، مثل الحقوق السياسية التي قد تقدمها الدول محدودة للغاية ومحتفظ بها داخل السوق النيوليبرالي ومن ثم يتم "استبدال الحقوق الاجتماعية بواجب الرعاية الذاتية وهكذا فإن كلا من الزوجين في زواج الدولة القومية يزداد فتوراً بشأن زواجهما وينجرفان ببطء ولكن بثبات نحو نمط الحياة السياسي المألوف الأزواج شبه المنفصلين"[40]

37 Bauman ,Zygmunt: collateral damage_ social inequalities in a global age, Cambridge, polity, 2011,p100.

" Perhaps most of the powers operated by the state political institutions evapo_rated into the space of flows_the no_mans land stretching beyond the reach of any state or combi_nation of states. They are powerful enough and mobile enough to play down or ignore state borders,local interests and territorially binding laws and rules of action.Powers drawing the borderline between realistic and non_ realistic options have been emancipated from most of the constraints which the territorial powers of nation _ states are able to impose or indeed to contemplate"

38 باومان،زيغمونت: الحياة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط1،بيروت، 2016 ، ص138،139.

39 المصدر نفسه، ص136.

40 Bauman ,Zygmunt: identity ,conversations with Benedetto vecchi ,op..c.t.,p28.

"Social rights are replaced one by one by the individual duty of self _care and one_ upmanship.And so both partners in the nation_state wedlock grow increasingly lukewarm about their marriage and

بعد أن كان الزواج بين الأمة والدولة مقدساً وساري المفعول وكل المحاولات السابقة للانفصال باءت بالفشل، تتحول هذه العلاقة إلى طلاق معلن، أصبح الدمج سلاح غير حاد بما يكفي لضمان الانتصار أو حتى الحفاظ على إحياء أمل الانتصار، ومن هنا يمكننا القول لم تعد سلطة الدولة تشرف على الاندماج الاجتماعي، ولا إدارة النظام المهمتين الضروريتين لإرساء الضوابط وإدارة الثقافة وتعبئة الحس الوطني، ولم يعد في سلطة أي دولة أن تعمل بمفردها مهما كانت مدججة بالسلاح وحازمة ولا تعرف الرفق أو اللين.

يمكن القول أنه في ظل المؤثرات السياسية والاقتصادية أخذت السلطة الكاملة التي حظيت بها الأمة /الدولة في الماضي تتبخر، وتصعد إلى المجال المجهول الخاص بالقوى العولمية ، وبدأت الدولة تنفض يدها من أي التزام أو تحالف قطري. لقد تغيرت وظائف الدولة عن طريق اختراق الحدود، وانحسار سيادة الدولة، فبعد أن كانت هذه الأخيرة كلاً لا يتجزأ "صارت أوصالها تتقطع في أشتات صغيرة تنتشر في أرجاء الفضاء القاري كافة بل والكوكبي في واقع الأمر فما من دولة تجرؤ أو تتمنى أن تدعي الحق في سلطة كاملة على مقدرتها الدفاعية ونظامها القانوني أو على الحياة الاقتصادية والثقافية لمن يعيشون على أرضها " [41]

قد أصبح الكثير من هذه التدفقات ممكناً بفضل تطور التكنولوجيا وتقدمها بجميع صورها، حيث اخترقت حدود الدولة نتيجة اختراع الآلات التي تقوم بالاتصال اللاسلكي الإلكتروني عبر الأقمار الصناعية، والتي استخدمتها الشركات المتعددة الجنسيات بغية كسب الربح، والتي أصبحت قادرة على أخذ بعض وظائف الدولة، فلم تقتصر الشركات الدولية على نقل رأس المال عبر الحدود فحسب بل التكنولوجيا أيضاً، ففي عصر التكنولوجيا تتجاوز الأمم الأقطار بلغة وثقافة مشتركين. وكما علمنا سابقاً أنه "في عصر الحداثة الصلبة كانت الأمة تتألف من عدة عوامل أهمها الأرض واللغة والثقافة المشتركة، علاوة على التقسيم الحديث للعمل والحراك الاجتماعي والمعرفة، أما اليوم فإن الصورة مختلفة حيث تبدو الأمة تجمعاً لأفراد متنقلين يندرج منطق حياتهم بعمق في نموذج الانسحاب والعودة. وصار الأمر يتعلق بمعرفة الكترونية افتراضية بمشكلات البلد والمناقشات الدائرة حولها أو عدم الدراية بهذه المشكلات أو المناقشات على الأنترنت"[42]

وهكذا نرى أن آلة الأمة/الدولة التي كانت مستحدثة ومهيأة لحماية سيادة الأرض والفصل الواضح بين السكان الأصليين والدخلاء " أخذتها ثورة الاتصالات على حين غرة فكل يوم تقع جريمة إرهابية تلو الأخرى وتدرك مؤسسات الدولة التي يحكمها القانون والنظام مدى عجزها عن التعامل مع الأخطار التي قضت بوضوح على التصنيفات والانقسامات التقليدية المقدسة الموثوقة والمجربة"[43]

ومن جهة أخرى إلغاء الحدود القائمة بين الدول هو بمثابة فقدان الدولة بعض مهامها السياسية، لأن ماهية الدولة مرتبطة بحدودها السيادية، وإذا كانت الحدود مستباحة فإن قدرة الدولة تضعف، وهنا تصبح الدولة عاجزة عن الوقوف في وجه ما لا يعترف بالحدود في الاقتصاد والاتصال والمعلومات، فعندما تفقد الدولة سيطرتها الاقتصادية وغيرها من المجالات، فإن دورها يضعف وصلاحيتها تتقلص.

---

drift,slowly yet steadily, towards the now fashionable life_political patternof SDCs (semi_detahed couples)"

[41] باومان، زيغمونت: الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص 73.

[42] باومان،زيغمونت: الشر السائل، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1،بيروت، 2018،ص 195.

[43]باومان ،زيغمونت: الخوف السائل، مصدر سبق ذكره، ص 169،170 .

قصارى القول لقد تغيرت الموازين في النظام الدولي لصالح الشركات العابرة للقوميات، والمنظمات الدولية غير الحكومية على حساب المنظمات الحكومية، ولم تعد فكرة السيادة المطلقة مقبولة، ولم تعد أمراً مسلماً به كما كان في الماضي، بل أصبح تدخل المجتمع الدولي في بعض الأمور التي كانت تعتبر في ما مضى شأناً داخلياً ليس فقط أمراً مقبولاً وإنما يراه العض ضرورياً وواجباً، لقد أصبحت المؤسسات والشركات العابرة للقارات تخترق وحدة الدول "وتقوم بتحطيم قدرات الدول على مواجهة الغزو الجديد الناتج عن قوانين السوق، وتضخيم الصراعات والنزاعات المناوئة للدولة مثل المشكلات العنصرية والدينية لصالح تفكيك الدول وتحويلها إلى دويلات عاجزة أمام سيادة السوق العالمية"[44]

نستطيع القول أنه إذا كانت الدولة في المرحلة الصلبة من الحداثة أشركت مواطنيها في المقام الأول كعمال، وغالباً ما نجحت في تأمين الاحتياجات الاجتماعية لمواطنيها ودعم بناء المجتمع، فإنها في مرحلة الحداثة السائلة أشركت أفرادها في المقام الاول كمستهلكين، وأصبح رأس المال يدور على نطاق عالمي، ويقطع روابطه بسرعة مع الأقاليم المحلية، وهنا أصبحت الأمة/الدولة ضعيفة أمام النخب العالمية الرأسمالية المتعددة الجنسية، كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ولم تعد قادرة على تولي مهمة تأمين الاحتياجات الاجتماعية بل تركت هذه المهمة للأفراد "عندما تنخفض الكفاءة التنظيمية للدولة يجب على الفرد أن ينشيء ممارسات ذاتية التنظيم لتجنب المخاطر الاجتماعية مثل المرض والبطالة والفقر وما إلى ذلك ،تقع مسؤولية إدارة المخاطر الناتجة عن النظام الاقتصادي على عاتق الأفراد وليس لأجهزة الدولة "[45]

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن أحد التهديدات الأخرى للأمة/الدولة هو الاهتمام الدولي المتزايد بحقوق الإنسان، باعتبارها قضية سياسية عالمية كبرى والتي جاءت كرد فعل عالمي على الفظائع التي ارتكبت في القرن العشرين كحادثة الهولوكوست مثلاً. إن التفسير الجديد لفكرة حقوق الإنسان الأساسية يضع الأسس اللازمة للتسامح المتبادل، ويحطم تراتبية الثقافات الموروثة من الماضي، ويمزق نموذج الإدماج باعتباره تطوراً ثقافياً تقدمياً بطبيعته يتجه نحو هدف محدد من قبل. من هنا لم يعد لأية ثقافة أن تطلب التبعية ولا الامتهان ولا الإذعان من جانب أية ثقافة أخرى استناداً إلى تفوقها أو تقدمها المفترض. فالتراتبيات الثقافية التي كان يفترض أنها قاطعة أو أحادية يحل محلها اليوم جدالات للسماح بالاختلاف.

يمكن القول أنه مع زيادة عدد المهاجرين ولا سيما المهاجرين الاقتصاديين "أصحاب رؤوس الأموال"، ومع تدمير التجارة المحلية التقليدية، واتساع التجارة النشطة Live trade، وسن القوانين التي تسمح باستيراد العمالة، هذه العوامل أدت إلى النمو العالمي للشتات العرقي. والتي أكدت على حقوق الإنسان كالحق في الحياة، والأمن، والحياة الكريمة، وعدم التمييز العنصري، وحرية التنقل، وعدم حرمان شخص من جنسيته، ومادامت هذه الحقوق شاملة فلم يعد بوسع الأمة/الدولة إلغاؤها. هذه التحولات تمثل قبولاً لنظرية التعددية الثقافية "التي تعود إلى مبدأ التسامح الليبرالي ودعم حقوق الجماعات في الاستقلال وحقوقها في القبول العام لهوياتها المختارة أو الموروثة "[46]

---

[44] هنتغتون، صامويل: صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ط2، 1999، ص19.

45 Kociatkiewicz, Jerzy and Kostera,Monika: liquid organization ,Zygmunt Bauman and organization theory ,routledge, New York,2014,p48

"Where the regulatory competence of the state decreases, the individual should establish self_ regulating practices in order to avoid social risks such as illness, unemployment, poverty, and so forth. Responsibility for administration of risks generated by the eco_nomic system is assigned to individuals and not to state agencies"

[46] باومان،زيغمونت: الثقافة السائلة، مصدر سبق ذكره،ص41.

وهكذا فإن اليقينيات والولاءات القديمة يجري إبطالها بسرعة ويبحث الناس عن انتماءات جديدة، وفي السرديات الجديدة للهوية تصبح الثقة والإخلاص علاقات لا يمكن إدامتها بل من الممكن رفضها، ما إن تنقضي قدرتها على الإمتاع أو تقل قدرتها على الإشباع، إن عمرها المتوقع قصير وغير محدد، فلا بد من تجديدها بشكل دائم، لقد تحرر الإنسان من الانتماء الذي صنعته الأمة/الدولة لأغراضها فالأمة/الدولة لن تكون قادرة على مواجهة مشكلات مثل" تلوث البيئة وتهريب المخدرات والهجرة والإرهاب والأوبئة العالمية"[47]

يمكن القول أنه من العوامل التي تهدد استقلال الأمة/الدولة تدفق المعلومات والهجرة غير الشرعية والحركات الاجتماعية الجديدة والإرهابيين والمجرمين والعقاقير والمال وتجارة الجنس وأمور كثيرة غير ذلك.

خاتمة:

من خلال ما تقدم يمكننا القول بأن العولمة قد أثرت بشكل واضح على سيادة الدولة، حيث تراجعت سلطة هذه الأخيرة أمام التطور التقني والتكنولوجي، وثورة الاتصالات التي غزت العالم وعملت على زوال الحدود بين الشعوب، وأصبحت الدولة في ظل العولمة خادمة للاقتصاد العولمي ولم تعد سيدة أرضها. لقد قوضت العولمة سيادة الأمة/الدولة وهدمت حصون استقلالها الحدودي، وفصلت ثالوث الأمة/الدولة/الأرض بعدما كان هذا الثالوث غير قابل للانفصال على مدار قرنين من الزمان، حيث أصبح واضحاً أن الثقافات القومية يمكنها أن تستغني عن الثالوث الذي كان يعد شرطاً ضرورياً لبقائها في أثناء أيام الحداثة الصلبة التي شهدت بناء الأمم.

يمكن القول أيضاً أنه تحت ضغط العولمة تحولت الأمم من كيانات متماسكة الحدود إلى روابط مبعثرة مكانياً، صارت الأمة/الدولة موضة قديمة، وإذا ما نالت إعجاباً فإن ذلك لا يرجع إلا لقدرتها على التسلية والترفيه، وأي اهتمام تثيره هو اهتمام عابر. وإذا كانت الأمم/الدول التي شهدتها الحداثة في مرحلة الصلابة قد سعت إلى حفظ التوازن والاستقرار، وجعلت الخروج عن النظام المختار أمراً صعباً أو ربما محالاً، فإنه مع العولمة بدأت الأمم/الدول تتخلى عن تلك التطلعات والآمال وجرى تشجيعها وإكراهها على ذلك، بل أصبحت أسس هذه الممارسات هشة وبدأت تضعف تدريجياً، ولم يعد أثرها المحافظ على الاستقرار في النظم قاطعاً تماماً ولا صحيحاً بالكامل، وسرعان ما جرى التخلي عنها طواعيةً. لقد زال التأييد للأمة/ الدولة وفق قوة منظومتها التي تستمد كفايتها وبقاءها واستمراريتها وتوازنها من داخلها.

قائمة المصادر والمراجع

1. باومان،زيغمونت: الحداثة والهولوكوست، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1، 2014.

2. Baumann, Zygmunt: Modernity and the Holocaust, translated by Hajjaj Abu Jaber, Beirut, The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition, 2014

3. باومان،زيغمونت: الحب السائل ،ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1، 2016

4. Baumann, Zygmunt: Liquid Love, translated by Hajjaj Abu Jabr, Beirut, The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition, 2016.

5. باومان،زيغمونت: الخوف السائل ،ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1، 2017.

[47] **دي سميث، أنتوني: الرمزية العرقية والقومية، ترجمة أحمد الشيمى، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013 ، ص155.**

6. Baumann, Zygmunt: Liquid Fear, translated by Hajjaj Abu Jabr, Beirut, The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition, 2017.

7. باومان،زيغمونت: الشر سائل، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1،بيروت، 2018 .

8. Baumann, Zygmunt: Evil is Liquid, translated by Hajjaj Abu Jabr, The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition, Beirut, 2018.

9. باومان،زيغمونت: الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط1، 2016 .

10. Baumann, Zygmunt: Liquid Modernity, translated by Hajjaj Abu Jabr, Beirut, The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition, 2016.

11. باومان،زيغمونت: الأخلاق في عصر الحداثة السائلة ، ترجمة سعد البازعي ،بثينة الابراهيم، أبو ظبي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، ط1، 2016 .

12. Baumann, Zygmunt: Ethics in the Age of Liquid Modernity, translated by Saad Al-Bazai, Buthaina Al-Ibrahim, Abu Dhabi, Abu Dhabi Tourism and Culture Authority, 1st edition, 2016.

13. باومان،زيغمونت: الحياة سائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط1،بيروت، 2016 .

14. Baumann, Zygmunt: Life is Liquid, translated by Hajjaj Abu Jabr, The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition, Beirut, 2016.

15. باومان،زيغمونت: الأزمنة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1،بيروت، 2017.

16. Baumann, Zygmunt: Liquid Times, translated by Hajjaj Abu Jabr, The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition ,Beirut, 2017 .

17. باومان،زيغمونت: الثقافة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط1،بيروت،2018.

18. Baumann, Zygmunt: Liquid Culture, translated by Hajjaj Abu Jabr, the Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition, Beirut, 2018.

19. المسكيني، فتحي: الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، ط1، جداول للنشر،2011.

20. Al-Maskini, Fathi: Identity and Freedom towards New Lights, 1st Edition, Jadawel for Publication, 2011.

21. أغامبين، جورجيو: حالة الاستثناء /الإنسان الحرام، ترجمة ناصر اسماعيل، مدارات للأبحاث والنشر، ط 1، 2015.

22. Agamben, Giorgio: The Case of Exception / The Sacred Man, translated by Nasser Ismail, Madarat for Research and Publishing, 1st Edition, 2015.

23. دي سميث، أنتوني: الرمزية العرقية والقومية، ترجمة أحمد الشيمى، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013 .

24. De Smith, Anthony: Ethnic and National Symbolism, translated by Ahmed El-Shimy, 1st edition, Cairo, Egyptian General Book Organization, 2013.

25. ريتزر، جورج: العولمة نص أساس، ترجمة السيد إمام، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

26. Ritzer, George: Globalization is a basic text, translated by Sayed Imam, 1st Edition, The National Center for Translation, Cairo, 2015.

27. فيذرستون، مايك: ثقافة العولمة/القومية والعولمة والحداثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

28. Featherstone, Mike: The Culture of Globalization/Nationalism, Globalization and Modernity, translated by Abdel-Wahab Alloub, Supreme Council of Culture, 2000 .

29. مورغان، إدغار: النهج /إنسانية البشرية/ الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط1، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009.

30. Morgan, Edgar: The Approach / Humanity of Humanity / Human Identity, translated by Hana Sobhi, 1st Edition, Abu Dhabi, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, 2009.

31. هنتغتون، صامويل: صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ط2، 1999.

32. Huntington, Samuel: The Clash of Civilizations, translated by Talaat Al-Shayeb, 2nd Edition, 1999.

باللغة الانكليزية

1) Bauman ,Zygmunt identity ,conversations with Benedetto vecchi, Cambridge ,polity press,2004.
2) Bauman ,Zygmunt: collateral damage_ social inequalities in a global age, Cambridge, polity, 2011. .. .
3) Bauman ,Zygmunt :mortality ,Immortality and other life strategies, cambridge ,polity press,1992.
4) Kociatkiewicz, Jerzy and Kostera ,Monika: liquid organization ,Zygmunt Bauman and organization theory ,routledge, New York,2014.